الصاعقة الرابعة والثمانون: إثلِث! فإنّا أيّها الطَّلَلُ(*)

إثلِث ! فـــإنّا أيّهـــا الطَّلَلُ ... نَبكِي وتُرزِمُ تَحـــتَنا الإبلُ(١)
أو لا فَـــلا عـــتبٌ عَلى طَلَلٍ ... إنّ الطّلُولَ لِمثلِهـــا فُـــعُلُ
لَوْ كُنتَ تَنطِقُ قُلتَ مُـعتَـذِرًا ... بِي غَـيـرُ مـا بِكَ أيّهـا الرّجُلُ
أبكاكَ أنّكَ بَعضُ مَن شَـغَـفُـوا ... لَم أبكِ أنّي بَعضُ مَن قَـتَلُوا
إنّ الـذيـنَ أقَـــمتَ وارتَحَلُوا ... أيّـامُـــهُم لِـديـارِهِـمْ دُوَلُ
الحُـسنُ يَرحَلُ كُلمـا رَحَلوا ... مَـعَـهُم ويَنزِلُ حَـيـثُـمـا نَزَلُوا
في مُـقلَتي رَشَـإٍ تُديرُهُمـا ... بَدَويّة فُـتنت بهـا الحِلَلُ(٢)
تَشكُو المَطاعمُ طولَ هِجـرَتِهـا ... وصُـدودِها وَمَنِ الذي تَصِلُ
مـا أسـأرَتْ في القَـعبِ مِن لَبَنٍ ... تَركَـتـهُ وهوَ المسكَ والعَسَلُ(٣)
قـالت ألا تَصحُـو فَـقُلْتُ لَهـا ... أعلمـتني أنّ الهَـوى ثَمَلُ
لَوْ أنّ فَنّاخُـسْـرَ صَـبّـحَكُمْ ... وَبَرزَتِ وَحدَكِ عـاقَـهُ الغَـزَلُ
وَتَفـرّقَت عَنكُم كَـتـائبُـهُ ... إنّ المِلاحَ خَـوادِعٌ قُـتُـلُ
مـا كُنتِ فـاعِلَةً وضَـيـفُكُمُ ... مَلِكُ المُلُوكِ وشـأنُكِ البَـخْلُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عضد الدولة، ويذكر وقعة مع وهشوذان بن محمد الكردي بالطرم.
(١) إثلث: كن ثالثاً. ترزم: تحن.
(٢) الحلل: جمع حلة: القوم النزول.
(٣) أسأرت: تركت. القعب: الكأس.

أتُمنَعينَ قِرًى فتَفتَضِحي ... أمْ تبذِلينَ لَهُ الذي يَسَلُ

بَل لا يَحِلّ بحَيثُ حَلَّ بِهِ ... بُخْلٌ ولا خَوَرٌ ولا وَجَلُ

مَلِكٌ إذا ما الرُّمحُ أَدرَكَهُ ... طَنَبٌ ذَكَرناهُ فَيَعتَدِلُ[1]

إنْ لَم يَكُنْ مَن قَبلَهُ عَجَزُوا ... عَمّا يَسُوسُ بِهِ فَقَد غَفَلُوا

حتى أتى الدُّنيا ابنُ بَجدَتِها ... فَشكا إليهِ السّهلُ والجَبَلُ[2]

شكوى العَليلِ إلى الكَفيلِ لهُ ... أن لا تَمُرّ بجِسمِهِ العِلَلُ

قالت فَلا كَذَبَتْ شَجاعَتُهُ ... أقدِمْ فنَفسُكَ ما لَها أجَلُ

فَهُوَ النّهايَةُ إنْ جَرى مَثَلٌ ... أو قيلَ يوم وغى من البطل

عُدَدُ الوُفُودِ العامِدينَ لَهُ ... دونَ السّلاحِ الشكلُ والعُقُلُ

فَلِشُكلِهِم في خَيلِهِ عَمَلٌ ... ولِعُقلِهِم في بُختِهِ شُغُلُ[3]

تُمسِي على أيدي مَواهِبِهِ ... هِيَ أو بَقِيّتُها أو البَدَلُ

يُشتاقُ مِنْ يَدِهِ إلى سَبَلٍ ... شَوقًا إليهِ يَنبُتُ الأسَلُ

سَبَلٌ تَطُولُ المكرُماتُ بِهِ ... والمَجدُ لا الحَوذانُ والنَّفَلُ[4]

وإلى حَصى أرضٍ أقامَ بِها ... بالناسِ مِن تقبيلِهِ يلل[5]

---

(١) الطنب: الاعوجاج.

(٢) ابن بجدتها: الخبير بأمرها.

(٣) البخت: الإبل الخراسانية.

(٤) الحوذان والنفل: نوعان من النبات.

(٥) اليلل: قصر الأسنان.

إنْ لم تُخالِطْهُ ضَواحِكُهُمْ ... فَلِمَن تُصانُ وتُذخَرُ القُبَلُ

في وَجهِهِ مِنْ نُورِ خالِقِهِ ... غُرَرٌ هِيَ الآياتُ والرُّسُلُ

فإذا الخَميسُ أبى السجود له ... سَجَدَت لَهُ فيهِ القَنا الذُّبُلُ

وإذا القلوب أبَت حُكُومَتَهُ ... رَضِيَت بحُكم سُيُوفِهِ القُلَلُ

أرَضِيتَ وهشُوذانُ ما حَكَمَتْ ... أم تَستَزيدَ لأمّكَ الهَبَلُ

وَرَدَت بِلادَكَ غَيرَ مُغمَدَةٍ ... وكأنَّها بَينَ القَنا شُعَلُ

والقَومُ في أعيانِهِم خَزَرٌ ... والخَيْلُ في أعيانِها قَبَلُ[1]

فأتَوكَ ليسَ بِمَن أتَوا قِبَلٌ ... بِهِمِ ولَيس بِمَن نَأوْا خَلَلُ

لَم يَدرِ مَنْ بالرّيّ أنّهُمُ ... فَصَلُوا ولا يَدري إذا قَفَلُوا

وأتيتَ مُعتَزِمًا ولا أَسَدٌ ... ومَضَيتَ مُنهَزِمًا ولا وَعِلُ

تُعطِي سِلاحَهُمُ وراحَهُمُ ... ما لَمْ تَكُنْ لِتَنالَهُ المُقَلُ

أسخى المُلُوكِ بِنَقلِ مَملَكَةٍ ... مَنْ كادَ عَنهُ الرّأسُ يَنتَقِلُ

لَولا الجَهالَةُ ما دَلَفتَ إلى ... قَومٍ غَرِقتَ وإنّما تَفَلُوا

لا أقبَلُوا سِرًّا ولا ظَفِرُوا ... غَدْرًا ولا نَصَرَتهُمُ الغِيَلُ

لا تَلْقَ أفرَسَ مِنكَ تَعرِفُهُ ... إلاّ إذا ما ضاقَتِ الحِيَلُ

لا يَستَحي أحَدٌ يُقالُ لَهُ ... نَضَلُوكَ آلُ بُوَيهِ أوْ فَضَلُوا

---

(١) خزر: ضيق العيون.

قَـدَرُوا عَـفَـوًا وعـدوا وَفَـوا سُئِلوا ... أَغنَـوْا عَلَوا أعلَـوْا ولُوا عَـــدَلُوا

فَـوقَ السّـمـاء وَفَـوقَ مـا طَلَبُـوا ... فـــإذا أرادوا غـــايَـةً نَـزَلُـوا

قَطَعَتْ مكارِمُـهُم صَـوارِمَـهمْ ... فـــإذا تَعَـــذَّرَ كـــاذِبٌ قَـبِلُوا

لا يشـهـرُونَ على مُـخـالِفِـهِم ... سَـيـفًـا يَقُـومُ مَـقـامَـهُ العَـذَلُ

فـــأَبُـو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَـــهَـــرُوا ... وأَبُو شُـجـاعٍ مَنْ بِهِ كَـمَلُوا[1]

حَلَفَتْ لِذا بَرَكـاتُ غُـرّةِ ذا ... في المَهْـدِ أن لا فـاتَهُ أَمَلُ

(١) أبو علي: ركن الدولة والد أبي شجاع عضد الدولة.